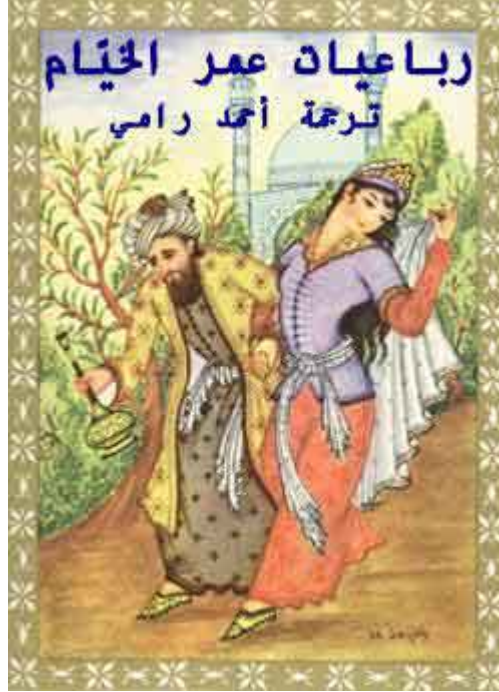


رباعيات الخيام



تمهيد لتعريف بالشاعر

عمر الخيام

أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري، رياضي وفلكي وهندسي وشاعر وموسيقي، اشتهر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ولد في نيسابور وكان في صغره يشتغل في حرفة صنع الخيام وبيعها لذلك لقب بالخيام، ثم انتقل في طلب العلم إلى أن استقر في بغداد عام 466هـ / 1074 م.

عرف الخيام بصفاء الذهن فكان يحفظ الكتب لا يفرقها عن أصولها البتة..، وكان قد تأمل كتاب بأصفهان سبع مرات فحفظه وعاد إلى نيسابور فأملاه، فقبول بنسخة الأصل فلم يوجد بينهما كثير تفاوت، وقد أتاحت له حافظته القوية أن يلم باللغة والفقه والتواريخ.. فكان أن دخل يوما على الوزير عبد الرزاق، وكان عنده إمام القراء أبو الحسن الغزال وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية، فقال الوزير: على الخبير سقطنا، فسأل عنها وفضل وجها واحدا. فقال الغزال: الخيام، فذكر اختلاف القراء، وعلل كل واحد منها وذكر الشواذ وعللها، أثناء صباه وكان يحفظ ذلك من القراء فضلا عن واحد من الحكماء كثر الله العلماء مثلك، فإني ما ظننت أن أحدا الآخرين، وهذا ما كان.. فقد وصل يدرس مع صديقين حميمين، وتعاهد ثلاثتهم على أن يساعد من يؤاتيه الحظ

الخيام عندها بمائتين وألف مثقال يتقاضاها من بيت المال كل عام ، إلى الوزارة نظام الملك (الطوسي) فخص عمر شيء السلطان (ألب أرسلان) ثم في سلطنة حفيده ملكشاه بعد ذلك ، فضمن له معيشة فيها سلطنة وكان ذلك في وخلال ذلك أنجز أكثر من الرفاهية ، وتمكن بذلك من أن ينعزل عن الناس ويعكف على البحث والدراسة .. وتعود شهرة الخيام إلى نبوغه بأعمال .العامة مؤلفاته في الجبر ودرس بديهيات هندسة اقليدس ونظرياتها الرياضيات والفلك ففي أعمال الجبر اشتغل الخيام بمعادلات الدرجة الثانية محتذيا حذو أستاذه الخوارزمي ، يقول (يول) : " إن الخيام والكرخي كانا من أنبغ الذين اشتغلوا بالرياضيات ولا سيما الجبر ، واستعمل :المقابلة) ، فمن هذه المعادلات أحدهما وهو الخيام بعض المعادلات التي استعملها الخوارزمي في كتابه (الجبر s^2 ، $3s + 4 = 10$ ، $20 + s^2 = 39$ ، $s^2 + 10$)

كما عالج المعادلات التكعيبية معالجة منهجية منظمة ، واستطاع الحصول على أحد جذورها بطرق هندسية باستخدام القطوع المخروطية على اعتبار أنه الإحداثي الأفقي لنقطة تقاطع دائرة بقطاع مخروطي ، فقد ذكر عز الدين فراج في كتابه (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية) : " أن عمر الخيام له السبق والشهرة بمعالجته حل المعادلات التكعيبية عن طريق علم الهندسة فحصل على أحد على اعتبار أنه الإحداثي الأفقي لنقطة تقاطع دائرة بقطع مخروطي " ، وقد نشر العالم الفرنسي (ووبك) عام 1815م كتاب الخيام في الجبر موضحا هذه الحقيقة... ، وهو أول من حاول تصنيف المعادلات حسب درجاتها وحسب الحدود فيها وجعلها محصورة في ثلاثة عشر نوعا ، واستخرج الجذور لكل درجة من هذه الدرجات فوصل إلى درجة من النضج الرياضي لم يسبقه إليه أحد ، ولقد استخدم نصير الدين الطوسي حلول الخيام هذه في الحصول على جذور المعادلات التكعيبية ، وبحث الخيام في النظرية المسماة نظرية (فرما) : " إن مجموع عددين مكعبين لا يمكن أن يكون مكعبا " ولم يثبت لدى الباحثين أن الخيام تمكن من إيجاد البرهان الصحيح لهذه النظرية.. ، وقد كان اهتمام الخيام عظيما بالمقدار الجبري وهو يشتغل في علم الجبر ، فاستطاع أن يفك المقدار الجبري ذي الحدين مرفوعا إلى أس 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، .. ، ن ، أي عدد صحيح موجب ، فكان مبتكرا لنظرية ذات الحدين بعد أن كان علماء الرياضيات في القرون الوسطى قد وقفوا عند المقدار الجبري ذي الحدين مرفوعا إلى قوة أس اثنين فقط. ولم يتوقف بحث الخيام عند تطوير علم الجبر فقط باعتباره علما مستقلا بل اهتم بإدخال الجبر على علم المثلثات ، وتمكن من وضع حلول لكثير من المسائل الصعبة في علم حساب المثلثات باستعماله المعادلات الجبرية ذات الدرجة الثالثة والرابعة .كما امتدت إسهامات الخيام إلى الهندسة ، فعلق على دراسة هندسة اقليدس المشروحة والمعلق عليها من قبل علماء الرياضيات المسلمين ، فأولاهها عناية شديدة وابتكر برهانا جديدا بخلاف ذلك الذي

قدمه ابن الهيثم في برهانه على المصادرة الخامسة من مصادرات اقليدس، فكان الخيام شغوقا بأعمال الهندسة حتى أنه إذا سئل فيها عن مسألة طول في شرحها.

الرباعيات

سمعت صوتا هاتفا في السحر
نادى من الحان : غفاة البشر
هبوا املئوا كأس الطلى قبل أن
تفعم كأس العمر كف القدر

أحس في نفسي دبيب الفناء
ولم أصب في العيش إلا الشقاء
يا حسرتا إن حان حيني ولم
يتح لفكري حل لغز القضاء

أفق وهات الكأس أنعم بها
واكشف خفايا النفس من حجبها
وروّ أوصالي بها قبلما
يصاغ دنّ الخمر من تربها

تروح أيامي ولا تغتدي
كما تهب الريح في الفدفد
وما طويت النفس هما على
يومين أمس المنقضي والغد

غد بظهر الغيب واليوم لي
وكم يخيب الظن في المقبل
ولست بالغافل حتى أرى
جمال دنياي ولا أجتلي

سمعت في حلمي صوتا أهاب
ما فتق النوم كمام الشباب
أفق فإن النوم صنو الردى
واشرب فمثواك فراش التراب

قد مزق البدر سنار الظلام
فاغنم صفا الوقت وهات المدام
واطرب فإن البدر من بعدنا
يسري علينا في طباق الرغام

سأنتحي الموت حثيث الورود
وينمحي اسمي من سجل الوجود
هات اسقنيها يا منى خاطري
فغاية الأيام طول الهجود

هات اسقنيها أيهذا النديم
أخضب من الوجه اصفرار الهموم

و إن مت فاجعل غسولي الطلى
وقد نعشي من فروع الكروم

إن تقتلع من أصلها سرحتي
وتصبح الأغصان قد جفت
فصغ وعاء الخمر من طينتي
واملاًه تسر الروح في جثتي

لبست ثوب العيش لم أستشر
وحررت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني ولم
أدرك لماذا جئت أين المقر

نمضي وتبقى العيشة الراضية
وتتمحي أثارنا الماضية
فقبل أن نحیی ومن بعدنا
وهذه الدنيا على ما هیه

طوت يد الأقدار سفر الشباب
وصوحت تلك الغصون الرطاب
وقد شدا طير الصبى واخنتى
متى أتى يا لهفا أين غاب

الدهر لا يعطي الذي نأمل
و في سبيل اليأس ما نعمل
و نحن في الدنيا على همها
يسوقنا حادي الردى المعجل

أفق خفيف الظل هذا السحر
وهاتها صرفا وناغ الوتر
فما أطال النوم عمرا ولا
قصر في الأعمار طول السهر

اشرب فمثواك التراب المهيل
بلا حبيب مؤنس أو خليل
و انشق عبير العيش في فجره
فليس يزهو الورد بعد الذبول

كم ألم الدهر فؤادا طعين
و أسلم الروح طعين حزين
وليس ممن فاتنا عائد
أسأله عن حالة الراحطين

يا دهر أكثرت البلى والخراب
و سمت كل الناس سوء العذاب
ويا ثرى كم فيك من جوهر
يبين لو ينبش هذا التراب

وكم توالى الليل بعد النهار
وطال بالأنجم هذا المدار
فامش الهوينا إن هذا الثرى
من أعين ساحرة الإحورار

أين النديم السمح أين الصبوح
فقد أمض الهم قلبي الجريح
ثلاثة هن أحب المنى
كأس و أنغام ووجه صبيح

نفوسنا ترضى احتكام الشراب
أرواحنا تقدى الثنايا العذاب
و روح هذا الذي نستله
ونستقيه سائغا مستطاب

يا نفس ما هذا الأسى والكدر
قد وقع الإثم وضاع الحذر
هل ذاق حلو العفو إلا الذي
أذنب والله عفا واغتفر

نلبس بين الناس ثوب الرياء
و نحن في قبضة كف القضاء

وكم سعيًا نرتجي مهريا
فكان مسعانا جميعا هباء

لم تفتح الأنفس باب الغيوب
حتى ترى كيف تسام القلوب
ما أتعس القلب الذي لم يكد
يلتام حتى أنكأته الخطوب

عامل كأهلك الغريب الوفي
واقطع من الأهل الذي لا يفي
و عف زلا لا ليس فيه الشفا
واشرب زعاف السم لو تشتقي

أحسن الى الأعداء و الأصدقاء
فإنما إنس القلوب الصفاء
و اغفر لأصحابك زلاتهم
وسامح الأعداء تمح العداء

عاشر من الناس كبار العقول
وجانب الجهال أهل الفضول
واشرب نقيع السم من عاقل
واسكب على الأرض دواء الجهول

يا تارك الخمر لماذا تلوم
دعني الى ربي الغفور الرحيم
ولا تفاخرنى بهجر الطلى
فأنت جان في سواها أثيم

أطفئ لظى القلب ببرد الشراب
فإنما الأيام مثل السحاب
وعيشنا طيف خيال فنل
حظك منه قبل فوت الشباب

بستان أيامك نامي الشجر
فكيف لا تقطف غض الثمر
اشرب فهذا اليوم إن أدبرت
به الليالي لم يعده القدر

جادت بساط الروض كف السحاب
فنزّه الطرف وهات الشراب
فهذه الخضرة من بعدنا
تتمو على أجسادنا في التراب

و إن تواف العشب عند الغدير
وقد كسا الأرض بساط نضير
فامش الهوبنا فوقه إنه

غذته أوصال حبيب طرير

يا نفس قد أدك حمل الحزن
يا روح مقدور فراق البدن
اقطف أزاهير المنى قبل أن
يجف من عيشك غض الفنن

يحلو ارتشاف الخمر عند الربيع
ونشر أزهار الروابي يوضع
وتعذب الشكوى الى فاتن
على شفا الوادي الخصيب الينيع

فلا تتب عن حسو هذا الشراب
فإنما تندم بعد المتاب
وكيف تصحو وطيور الربى
صداحة و الروض غض الجناب

زخارف الدنيا أساس الألم
وطالب الدنيا نديم الندم
فكن خلي البال من أمرها
فكل ما فيها شقاء وهم

و أسعد الخلق قليل الفضول
من يهجر الناس ويرضى القليل
كأنه عنقاء عند السهى
لا بومة تتعب بين الطلول

من يحسب المال أحب المنى
و يزرع الأرض يريد الغنى
يفارق الدنيا ولم يختبر
في كده أحوال هذي الدنى

سرى بجسمي الغض ماء الفناء
وسار في روعي لهيب الشقاء
وهمت مثل الريح حتى ذرت
تراب جسمي عاصفات القضاء

يا من يحار الفهم في قدرتك
وتطلب النفس حمى طاعتك
أسكرني الإثم و لكنني
صحوت بالآمال في رحمتك

لم أشرب الخمر ابتغاء الطرب
ولا دعنتي قلة في الأدب
لكن إحساسي نزاعا إلى
إطلاق نفسي كان كل السبب

أفانيت عمري في اكتناه القضاء
وكشف ما يحجبه في الخفاء
فلم أجد أسراره وانقضى
عمري وأحسست ديبب الفناء

أطال أهل الأنفس الباصرة
تفكيرهم في ذاتك القادرة
ولم تنزل يا رب أفهامهم
حيرى كهذي الأنجم الحائرة

لم يجن شيئاً من حياتي الوجود
ولن يضير الكون أني أبيد
واحيرتي ما قال لي قائل
ماذا اشتعال الروح كيف الخمود

إذا انطوى عيشي وحان الأجل
وسد في وجهي باب الأمل
قرّ حباب العمر في كأسه
فصبها للموت ساقى الأزل

إن لم أكن أخلصت في طاعتك

فإنني أطمع في رحمتك
و إنما يشفع لي أنني
قد عشت لا أشرك في وحدتك

يا رب هبني سبب الرزق لي
ولا تدقني منة المفضل
وأبقني نشوان كيما أرى
روحي نجت من دائها المعضل

أفانيت عمري في ارتقاب المنى
ولم أدق في العيش طعم الهنا
وإنني أشفق أن ينقضي
عمري وما فارقت هذا العنا

لم يبرح الداء فؤادي العليل
ولم أنل قصدي وحان الرحيل
وفات عمري وأنا جاهل
كتاب هذا الدهر جم الفصول

صفا لك اليوم ورقّ النسيم
وجال في الأزهار دمع الغيوم
ورجع البلبل ألعانه
يقول هيا اطرب واخل الهموم

الدرع لا تمنع سهم الأجل
والمال لا يدفعه إن نزل
وكل ما في عيشنا زائل
لا شيء يبقى غير طيب العمل

الله يدري كل ما تضرر
يعلم ما تخفي وما تظهر
وإن خدعت الناس لم تستطع
خداع من يطوي ومن ينشر

وإنما بالموت كل رهين
فاطرب فما أنت من الخالدين
واشرب ولا تحمل أسي فادحا
وخلّ حمل الهم لللاحقين

رأيت خزافا رحاه تدور
يجدّ في صوغ دنان الخمور
كأنه يخلط في طينها
جمجمة الشاه بساق الفقير

تمتلك الناس الهوى والغرور
وفتنة الغيد وسكنى القصور

ولو تزال الحجب بانئت لهم
زخارف الدنيا وعقبى الأمور

إن الذي تأنس فيه الوفاء
لا يحفظ الود وعهد الإخاء
فعاشر الناس على ريبة
منهم ولا تكثر من الأصدقاء

زاد الندى في الزهر حتى غدا
منحنيا من حمل قطر الندى
والكُم قد جمع أوراقه
فظلّ في زهر الرّبي سيدا

وأسعد الخلق الذي يرزق
وبابه دون الورى مغلق
لا سيدٌ فيهم ولا خادم
لهم ولكن وادع مطلق

قلبي في صدري أسير سجين
تخلجه عشرة ماء وطين
وكم جرى عزمي بتحطيمه
فكان ينهاني نداء اليقين

مصباح قلبي يستمدّ الضياء
من طلعة الغيد ذوات البهاء
لكنني مثل الفراش الذي
يسعى الى النور وفيه الفناء

طبعي انتتاسي بالوجوه الحسان
وديدني شرب عتاق الدنان
فاجمع شتات الحظ وانعم بها
من قبل أن تطويك كف الزمان

عاقب الأيام يدني الأجل
ومرها يطويك طيّ السجل
وسوف تفنى وهي في كرّها
فقضّ ما تغنمه في جدل

لا تشغل البال بماضي الزمان
ولا يأتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذّاته
فليس في طبع الليالي الأمان

قيل لدى الحشر يكون الحساب
فيغضب الله الشديد العقاب
وما انطوى الرحمن إلا على
إنالة الخير ومنح الثواب

كان الذي صورني يعلم
في الغيب ما أجنبي وما آثم
فكيف يجزيني على أنني
أجرمت والجرم قضا مبرم

هات اسقني كأس الطلى السلسل
وغنني لحنا مع البلبل
فإنما الإبريق في صبه
يحكي خرير الماء في الجدول

الخمير في الكأس خيال ظريف
وهي بجوف الدنّ روح لطيف
أبعد ثقيل الظلّ عن مجلسي
فإنما للخمر ظلّ خفيف

باب نديمي ذو الثنايا الوضاح
وبيننا زهر أنيق وراح
وافتنض من لؤلؤ أصدافها
فافتترّ في الآفاق ثغر الصباح

نار الهوى تمنع طيب المنام
وراحة النفس ولدّ الطعام

وفاتر الحب ضعيف اللظى
منطفئ الشعلة خابي الضرام

القلب قد أضناه عشق الجمال
والصدر قد ضاق بما لا يقال
يا ربّ هل يرضيك هذا الضما
والماء ينساب أمامي زلال

خلقتني يا ربّ ماء وطين
وصعقتني ما شئت عزًا وهون
فما احتيالي والذي قد جرى
كتبته يا ربّ فوق الجبين

ويا فؤادي تلك دنيا الخيال
فلا تنو تحت الهموم الثقال
وسلم الأمر فمحو الذي
خطت يد المقدار أمر محال

وإنما نحن رشاخ القضاء
ينقلنا في اللوح أنى يشاء
وكل من يفرغ من دوره
يلقى به في مستقر الفناء

رأيت صفا من دنان سرى
ما بينها همس حديث جرى
كأنها تسأل : أين الذي
قد صاغنا أو باعنا أو شرى

سطا البلى فاغتال أهل القبور
حتى غدوا فيها رفاتا نثير
أين الطلى تتركني غائبا
أجهل أمر العيش حتى النشور

إذا سقاني الموت كأس الحمام
وضمكم بعدي مجال المدام
فأفردوا لي موضعي واشربوا
في ذكر من أضحى رهين الرجام

عن وجنة الأزهار شف النقاب
وفي فؤادي راحة للشراب
فلا تتم فالشمس لما يزل
ضياؤها فوق الرّبي والهضاب

فكم على ظهر الثرى من نيام
وكم من الثاوين تحت الرغام
وأينما أرمي بعيني أرى

مشيعا أو نهزة للحمام

يا ربّ في فهمك حار البشر
وقصر العاجز والمقتدر
تبعث نجواك وتبدو لهم
وهم بلا سمع يعي أو بصر

بيني وبين النفس حرب سجال
وأنت يا ربّي شديد المحال
أنتظر العفو ولكنني
خجلان من علمك سوء الفعال

شقت يد الفجر ستار الظلام
فانهض وناولني صبح المدام
فكم تحيينا له طلعة
ونحن لا نملك ردّ السلام

معاقرو الكأس وهم سادرون
وقائموا الليل وهم ساجدون
غرقى حيارى في بحار النهى
والله صاح والورى غافلون

كنا فصرنا قطرة في عباب
عشنا وعدنا ذرة في التراب
جئنا إلى الأرض ورحنا كما
دب عليها النمل حيناً وغاب

لا أفضح السر لعال ودون
ولا أطيل القول حتى يبين
حالي لا أقوى على شرحها
وفي حنايا الصدر سري دفين

أولى بهذي الأعين الهاجدة
أن تغتدي في أنسها ساهدة
تنفس الصبح فقم قبل أن
تحرمه أنفاسنا الهامدة

هل في مجال السكون شيء بديع
أحلى من الكأس وزهر الربيع
عجبت للخمار هل يشتري
بماله أحسن مما يبيع

هوى فؤادي في الطلى والحباب
وشجو أذني في سماع الرياب
إن يصنع الخزاف من طينتي
كوبا فأترعها ببرد الشراب

يا مدعي الزهد أنا أكرم
منك وعقلي ثملا أحكم
تستنزف الخلق وما أستقي
إلا دم الكرم فمن آثم؟

الخمير كالورد وكأس الشراب
شفت فكانت مثل ورد مذاب
كأنما البدر نثا ضوءه
فكان حول الشمس منه نقاب

لا تحسبوا أنني أخاف الزمان
أو أرهب الموت إذا الموت حان
الموت حق لست أخشى الردى
وإنما أخشى فوات الأوان

لا طيب في الدنيا بغير الشراب
ولا شجي فيها بغير الرباب
فكرت في أحوالها لم أجد
أمتع فيها من لقاء الصحاب

عش راضيا واهجر دواعي الألم

واعدل مع الظالم مهما ظلم
نهاية الدنيا فناء فعش
فيها طليقا واعتبرها عدم

لا تأمل الخل المقيم الوفاء
فإنما أنت بدنيا الرياء
تحمل الداء ولا تلتمس
له دواء وانفرد بالشقاء

اليوم قد طاب زمان الشباب
وطابت النفس ولذ الشراب
فلا تقل كأس الطلى مرة
فإنما فيها من العيش صاب

وليس هذا العيش خلدا مقيم
فما اهتمامي محدث أم قديم
سنترك الدنيا فما بالناس
نضيع منها لحظات النعيم

حتام يغري النفس برق الرجاء
ويفزع خاطر طيف الشقاء
هات اسقنيها لست أدري إذا
صعدت أنفاسي ردت الهواء

دنياك ساعات سراع الزوال
وانما العقبى خلود المآل
فهل تبيع الخلد يا غافلا
وتشتري دنيا المنى والضلال

يامن نسيت النار يوم الحساب
وعفت أن تشرب ماء المتاب
أخاف إن هبت رياح الردى
عليك أن يأنف منك التراب

يا قلب كم تشقى بهذا الوجود
وكل يوم لك همّ جديد
وأنت يا روعي ماذا جنت
نفسى وأخراك رحيل بعيد

تتأثرت أيام هذا العمر
تتأثر الأوراق حول الشجر
فانعم من الدنيا بلذاتها
من قبل أن تسقيك كف القدر

لا توحش النفس بخوف الظنون
وأغنم من الحاضر أمن اليقين

فقد تساوى في الثرى راحل
غدا وماض من ألوف السنين

مررت بالخزاف في صحوة
يصوغ كوب الخمر من طينة
أوسعها دعًا فقالت له :
هل أقفرت نفسك من رحمة

لو أنني خيرت أو كان لي
مفتاح باب القدر المقفل
لاخترت عن دنيا الأسي أنني
لم أهبط الدنيا ولم أرحل

هبطت هذا العيش في الآخرين
وعشت فيه عيشة الخاملين
ولا يوافقيني بما أبتغي
فأين مني عاصفات المنون

حكّمك يا أقدار عين الضلال
فأطلقيني آد نفسي العقال
إن تقصري النعمى على جاهل
فلست من أهل الحجا والكمال

إذا سقاك الدهر كأس العذاب
فلا تبين للناس وقع المصاب
واشرب على الأوتار رنانة
من قبل أن تحطم كأس الشراب

لا بد للعاشق من نشوة
أو خفة في الطبع أو جنة
والصحو باب الحزن فاشرب تكن
عن حالة الأيام في غفلة

أنا الذي عشت صريع العقار
في مجلس تحييه كأس تدار
فعدّ عن نصحي لقد أصبحت
هذي الطلى كل المنى والاختيار

أعلم من أمري الذي قد ظهر
وأستشف الباطن المستتر
عدمت فهي أن تكن نشوتي
وراءها منزلة تنتظر

طارت بي الخمر إلى منزل
فوق السماك الشاهق الأعزل
فأصبحت روعي في نجوة
من طين هذا الجسد الأردل

سئمت يا ربي حياة الألم
وزاد همي الفقر لما ألمّ
ربي انتشلني من وجودي فقد
جعلت في الدنيا وجودي عدم

لم يخل قلبي من دواعي الهموم
أو ترض نفسي عن وجودي الأليم
وكم تأدبت بأحداثه
ولم أزل في ليل جهل بهيم

الله قد قدر رزق العباد
فلا تؤمل نيل كل المراد
ولا تذق نفسك مرّ الأسي
فإنما أعمارنا للنفاد

إن الذي يعرف سر القضاء
يرى سواء سعه والشقاء
العيش فان فلندع أمره
أكان داء مسنا أم دواء

يا طالب الدنيا وقيت العثار
دع أمل الريح وخوف الخسار

واشرب عتيق الخمر فهي التي
تفك عن نفسك قيد الإسار

الكأس جسم روحه الساريه
هذي السلاف المزة الصافية
زجاجها قد شف حتى غدا
ماء حوى نيرانها الجارية

قد ردد الروض غناء الهزار
وارتاحت النفس لكأس العقار
تبسم النور فقم هاتها
نتأر من الأيام قبل الدمار

بي من جفاء الدهر همّ طويل
ومن شقاء العيش حزن دخيل
قلبي كدّن الخمر يجري دما
ومقلتي بالدمع كأس تسيل

وكلما راقبت حال الزمن
رأيتّه يحرم أهل الفطن
سبحان ربي كلما لاح لي
نجم طوته ظلمات المحن

ماذا جنينا من متاع البقاء
ماذا لقينا في سبيل الفناء
هل تبصر العين دخان الألى
صاروا رمادا في أتون القضاء

تلك القصور الشاهقات البناء
منازل العز ومجلى السناء
قد نعب اليوم على رسمها
يصيح أين المجد ، أين الثراء

هون على النفس احتمال الهموم
واغنم صفا العيش الذي لا يدوم
لو كانت الدنيا وفت للألى
راحوا لما جاءك دور النعيم

وانما الدهر مذيق الكروب
نعيمه رهن بكف الخطوب
ولو درى الهم الذي لم يجيء
دنيا الأسى لاختار دار الغيوب

صبت علينا وابلات البلاء
كأننا أعداء هذا القضاء
بيننا ترى الإبريق والكأس قد
تبادلا التقبيل حول الدماء

تفتح النوار صب المدام
واخلع ثياب الزهد بين الأنام
وهاتها من قيل سطو الردى
في مجلس ضم الطلى والغرام

حار الورى ما بين كفر ودين
وأمعنوا في الشك أو في اليقين
وسوف يدعوهم منادي الردى
يقول ليس الحق ما تسلكون

نصبت في الدنيا شرك الهوى
وقلت أجزى كل قلب غوى
أنتصب الفخ لصيدي وإن
وقعت فيه قلت عاص هوى

أنا الذي أبدعت من قدرتك
فعثت أرعى في حمى نعمتك
دعني الى الآثام حتى أرى
كيف يذوب الإثم في رحمتك

إن تفصل القطرة في بحرها
ففي مداه منتهى أمرها

تقاربت يا ربّ ما بيننا
مسافة البعد على قدرها

وانما الدنيا خيال يزول
وأمرنا فيها حديث يطول
مشرقها بحر بعيد المدى
وفي مداه سيكون الأفول

جهلت يا نفسي سر الوجود
وغبت في غور القضاء البعيد
فصوري من نشوتي جنة
فربما أحرم دار الخلود

يا ورد أشبهت خدود الحسان
ويا طلي حاكيت ذوب الجمان
وأنت يا حظي تتكرت لي
وكنت من قبل الأخ المستعان

أولى بك العشق وحسو الشراب
وحنة الناي ونوح الرياب
فأطلق النفس ولا تتصل
بزخرف الدنيا الوشيك الذهاب

لا تشغل البال بأمر القدر
واسمع حديثي يا قصير النظر
تتح واجلس وادعا قانعا
وانظر الى لعب القضا بالبشر

يا قلب إن ألقيت ثوب العناء
غدوت روحا طاهرا في السماء
مقامك العرش ترى حطة
أنك في الأرض أطلت البقاء

إن الذي يذبل زهر الربيع
ينثر أوراق وجود الجميع
والهم مثل السم ترياقه
في الخمر فاشرب قدر ما تستطيع

زجاجة الخمر ونصف الرغبة
وما حوى ديوان شعر طريف
أحب لي إن كنت لي مؤنسا
في بلقع من كل ملك منيف

أسمع الديك أطل الصباح
وقد بدى في الأفق نور الصباح
ما صاح إلا نادبا ليلة
ولت من العمر السريع الرواح

علام تشقى في سبيل الألم
ما دمت تدري أنك ابن العدم
الدهر لا تجري مقاديره
بأمرنا فارض بما قد حكم

تحمل الداء كبير الرجاء
أنك يوما تنال الشفاء
واشكر على الفقر الذي إن يُردَّ
أصبحت موفور الغنى والثراء

ليتك يا ربي تبديد الوجود
وتخلق الأكوان خلقا جديد
فتغفل اسمي أو تزيد الذي
قدرت لي في الرزق بين العبيد

وصلتني بالنفس منذ القدم
فكيف تقري شملنا الملتئم
وكنت ترعاني فماذا دعا
إلى اطراحي للأسى والألم

هات الطلى فالنفس عما قليل
توشك من فرط الأسى أن تسيل

عساي أنسى الهم في نشوتي
من بعد رشفي كأسها السلسبيل

يا ساقى الخمر أفق هاتها
ثم اسقني سائل ياقوتها
فإنها تبعث من روحها
نفسى وتحيي ميت لذاتها

صب من الإبريق صافي الدماء
واشرب وهات الكأس ذات النقاء
فليس بين الناس من ينطوي
على الذي في صدرها من صفاء

أين طهور النفس عفّ اليمين
وكيف كانت عيشة الصالحين
إن كنت لا تغفر ذنبي فما
فضلك يا ربّ على العالمين

أبدعت فينا بينات العبر
وصُغتنا يا ربي شتى الصور
فهل أطيق اليوم محو الذي
تركته في خلقتي من أثر

طبائع الأنفس ركبتهما
فكيف تجزي أنفسا صغتها
وكيف تفنى كاملا أو ترى
نقصا بنفس أنت صورتها

تخفي عن الناس سنا طلعتك
وكل ما في الكون من صنعتك
فأنت مُجلاه وأنت الذي
ترى بديع الصنع في آيتك

يا رب مهّد لي سبيل الرّشاد
واكتب لي الراحة بعد الجهاد
وأحي في نفسي المنى مثلما
يحيي موات الأرض صوب العهد

لن يرجع المقدار فيما حكم
وحملك الهم يزيد الألم
ولو حزنت العمر لن ينمحي
ما خطه في اللوح مر القلم

ولّى الدجى قم هات كأس الشراب
كأنما الياقوت فيها مذاب
واحرق من العود بخورا وخذ
من غصنه المعطار واصنع رباب

الخمير توليك نعيم الخلود
ولذّة الدنيا وأنس الوجود
تحرق مثل النار لكنها
تجعل نار الحزن ماء برود

عيشي من أجل الطلى مستحيل
فإنها تشفي فؤادي العليل
ما أعذب الساقى إذا قال لي
تناول الكأس ورأسى يميل

أولى بهذا القلب أن يخفقا
وفي ضرام الحب أن يحرقا
ما أضيع اليوم الذي مرّ بي
من غير أن أهوى و أن أعشقا

سارع الى اللذات قبل المنون
فالعمر يطويه مرور السنين
ولست كالأشجار إن قلت
فروعها عادت رطاب الغصون

إن الألى ذاقوا حياة الرغد
وأنجز الدهر لهم ما وعد

قد عصف الموت بهم فانطوا
واحتضنوا تحت تراب الأبد

نفسى خلت من أنس تلك الصحاب
لما غدوا ثاوين تحت التراب
في مجلس العمر شربنا الطلى
فلم يفق منا صريع الشراب

ولست مهما عشت أخشى العدم
وإنما أخشى حياة الألم
أعارني الله حياتي وعن
حقوقه استرداد هذا النسم

قالوا امتنع عن شرب بنت الكروم
فإنها تورث نار الجحيم
ولذتي في شربها ساعة
تعدل في عيني جنان النعيم

إن دارت الكأس ولذّ الشراب
فكن رضيّ النفس بين الصحاب
واشرب فما يجديك هجر الطلى
إن كان مقدورا عليك العذاب

شيئان في الدنيا هما أفضل
في كل ما تنوي وما تعمل
لا تتخذ كل الوري صاحبا
ولا تتل من كل ما يؤكل

لو كان لي قدرة رب مجيد
خلقت هذا الكون خلقا جديد
يكون فيه غير دنيا الأسى
دنيا يعيش الحر فيها سعيد

إذا بلغت المجد قالوا زنيم
وإن لزمتم الدار قالوا لنئيم
فجانب الناس ولا تلتمس
معرفة تورث حمل الهموم

خير لي العشق وكأس المدام
من ادعاء الزهد والإحتشام
لو كانت النار لمثلي خلت
جنات عدن من جميع الأنام

عبدك عاص أين منك الرضاء
وقلبي داج فأين الضياء
إن كانت الجنة مقصورة
على المطيعين فأين العطاء

أهل الحجا والفضل هذي العقول
قد حاولوا فهم القضاء الجليل
فحدثونا بعض أوهامهم
ثم احتواهم ليل نوم طويل

يا عالم الأسرار علم اليقين
يا كاشف الضر عن البائسين
يا قابل الأعذار فتنا الى
ظلك فاقبل توبة التائبين
